مجلة كامبريدج للبحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز كامبريدج
للبحوث والمؤتمرات في مملكة البحرين

العدد ـ ٤١

كانون الثاني ـ ٢٠٢٥

CAMBRIDGE
RESEARCH AND CONFERENCES CENTER

CJSP
ISSN-2536-0027

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

مهيمنات النيوكولونيالية وأثرها في الخطاب الروائي العراقي (رواية خاتون بغداد انموذجا)

الباحث رافد ناصر زبيدي
Iy٨٢٥٣٨@qmail.com
جامعة طهران- مجمع الفأرابي- قسم اللغة العربية وآدابها

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الحديث عن مهيمنات النيوكولونيالية وأثرها في الخطاب الروائي العراقي، فلقد كان الاستعمار الغربي أسوأ ما واجهته البشرية منذ القرن الثامن الميلادي حتى الآن، ومن ثم ظهرت نظرية النيوكولونيالية التي تهدف إلى تفكيك الظاهرة الاستعمارية ومناهضة المركزية الغربية ورفض تصوراتها الاستعلائية التي تدعو إلى تدني الأعراق والأجناس غير الأوروبية ورفض المعايير المزدوجة في الغرب الذي يتشدق بالديمقراطية وحقوق الإنسان.وقد اشتمل البحث على مقدمة ثم الجانب النظري الذي يوضح ماهية النيوكولونيالية ونشأتها وما دعا إليه رواد هذه النيوكولونيالية ثم كان الجزء التطبيقي بهدف تسليط الضوء على مهيمنات النيوكولونيالية في الخطاب العراقي من خلال دراسة رواية "خاتون بغداد" للروائي العراقي "شاكر نوري" ثم خاتمة البحث.

Summary

This research aims to talk about the hegemonies of neocolonialism and its impact on Iraqi novelist discourse. Western colonialism was the worst that humanity has faced since the eighth century AD until now ،and then the theory of neocolonialism appeared, which aims to dismantle the colonial phenomenon, oppose Western centralism, and reject its superiority perceptions that call for the decline of... Non-European races and ethnicities and the rejection of double standards in the West, which pays lip service to democracy and human rights.

The research included an introduction, then the theoretical part that explains the nature of neocolonialism, its origins, and what the pioneers of this neocolonialism called for. Then the practical part was with the aim of shedding light on the hegemonies of neocolonialism in Iraqi discourse through studying the novel “Khatun of Baghdad” by the Iraqi novelist“ Shaker Nouri,” then the conclusion of the research.

مقدمة

إن أسوأ ما تعرضت له البشرية على مدى التاريخ هو ظاهرة الاستعمار، فالاستيلاء بالقوة على أرض الآخرين وسلب خيراته هو أسوأ ما يُسلط على الإنسان من ظلم وعدوان لا مبرر له أيا كان،

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

والمستعمِر يدرك -تماما- ذلك لذا، يحاول بشتى الطرق طمس هويتها وتزييف الحقائق ويلجأ إلى المراوغة والخداع، ولقد نشات الرواية النيو كالونيالية لتقويض سردية الاستعمار وبيان زيفها وإظهار الحقائق. ومع تزايد رغبة الغرب الحديث في التوسع خارج بلاده والاستحواذ على المزيد من المناطق الجغرافية الغنية بثرواتها ازدات الحاجة إلى خطاب ثقافي يسوّغ هذه الحركة باتجاه الخارج. وقد عمل الخطاب الروائي والرحلي والخطاب الاستشراقي على تحسين صورة المستعمر الغربي والظهور بمظهر الرجل النبيل الذي قدم لتخليص المعذبين في الأرض وإنقاذهم من براثن الجهل والعبودية وتورية الهدف الحقيقي في السيطرة على مقدرات الشعوب الغير غربية وثرواتها.

ولقد اهتم فكر النيوكولونيالية أو ما بعد النيوكولونيالية بالدراسة والبحث في قضايا جوهرية تختص بالمجتمعات المستعمرة ومنها العنصرية والهوية والثقافة واللغة وغيرها. واجتهد مفكروها بالدفاع عن الهوية الوطنية ورفض النظرة الإقصائية للمركزية الغربية ورفض نظرياتها الفلسفية محاولين تغيير هذه المفاهيم ذات النزعة الاستعلائية التي تروج لفكرة تدني الأجناس الغير الأوروبية حيث تصورهم بأنهم أدنى مرتبة وتقر بعدم أهليتهم لحكم أنفسهم بأنفسهم رغبة منهم في الهيمنة والسيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية على المجتمعات والعمل على تجانس الثقافات المحلية في الثقافة العالمية مما يؤدي إلى القضاء على الأعراف والعادات والتقاليد والدين وهدم اللغات والثقافات الغير غربية وهذا ما رفضه مفكرو النيوكولونيالية رفضا قاطعا فلكل أمة خصوصيتها وثقافتها التي تعبر عنها.

بعد إنهاء المرحلة الاستعمارية (الكولونيالية) تأتي مرحلة النيوكولونيالية أو مابعد الكولونيالية، ويرى المفكر **فانون** أنها أخطر من الكولونيالية حيث تتطلب وضع استراتيجيات جديدة وخطط بديلة للمقاومة. وقد نجد بعض المؤسسات الاقتصادية والثقافية والسياسية التي ظلت تابعة للمستعمِر من أجل رعاية مصالحهم وترسيخ عاداتهم وغرس أفكارهم وثقافاتهم، وهنا يؤكد **كوامي نكروما** في كتابه (الاستعمار الجديد: المرحلة الأخيرة من الإمبريالية) أن "حال الشعوب التي تحررت من الاستعمار، وبات لزاما عليها أن تكافح من أجل صياغة هويتها القومية وأن تبني اقتصادها ومؤسساتها وقدراتها العسكرية لكنها عوضا عن ذلك غرقت في سياسات ما بعد الاستعمار المالية التي كبلت لإفريقيا مثلا بعدد من المبادرات الاقتصادية ذات الشروط القاسية وذلك ضمن سياسات الاستعمار الجديد"[١].

أسباب اختيار الموضوع

وقع الاختيار لهذا الموضوع تحديدا لعدة أسباب منها:

١. تسليط الضوء على ماهية نظرية النيوكولونيالية وما تهدف إليه لمواجهة أهداف المستعمر الغربي.
٢. الرغبة في إثراء البحث العلمي حيث أنني لم أقف على دراسات تتناول تأثير النيوكولونيالية في الأدب العراقي عامة والروائي خاصة.
٣. مدى حاجة الباحثين والدارسين إلى مثل هذه الدراسات من أجل التمسك بالثقافة والهوية العربية.

ماهية النيوكولونيالية

ظهر مصطلح "النيوكولونيالية" أو "ما بعد الكولونيالية" في سبعينيات القرن العشرين، وقد صاغ هذا المصطلح الرئيس الأول لغانا المستقلة ويقصد به "أنه على الرغم من تحقيق دول مثل غانا الاستقلال النظري، فإن بقايا الكولونيالية السابقة والقوى الجديدة العظمى الصاعدة على المشهد العالمي مثل الولايات المتحدة الأمريكية ظلت تلعب دورا حاسما في مصائر هذه الدول عن طريق تثبيت الأسعار في الأسواق العالمية، الشركات المتعددة الجنسيات، والاتحادات الاحتكارية إضافة إلى تنويعة من المؤسسات التعليمية والثقافية"[٢]. ومن الملاحظ أن مصطلح "النيوكولونيالية" قد شاع كثيرا في مناقشة الشؤون الإفريقية

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وفي الأوساط الأمريكية اللاتينية والجنوبية الأسيوية خاصة ما يتعلق بالاقتصاد، بينما انتشر مصطلح "ما بعد الكولونيالية" في حقول الأدب والنقد والفكر والفلسفة.

مفهوم النيوكولونيالية

اشتقت كلمة كولونيالي (استعماري) حسب قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية من كلمة كولونيا التي تعني مزرعة أو مستعمرة أي أرضا فارغة قد وقع إعمارها من طرف عناصر وافدة من قومية أجنبية[٣].

إن مصطلح الكولونيالية ذو علاقة وثيقة بالاستعمار الاستيطاني وما يتبعه من هيمنة ثقافية فهو ذو أهمية في "تحديد الشكل المحدد للاستغلال الثقافي الذي تنامى بالتزامن مع التوسع الأوروبي"[٤].

تعريف **دوغلاس روبنسون** لمصطلح "النيوكولونيالية" أو "ما بعد الكولونيالية":

هي "دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ استقلالها أي كيف استجابت لإرث الكولونيالية الثقافي أو تكيفت معه أو قاومته، أو تغلبت عليه خلال الاستقلال". (الفترة التاريخية خلال النصف الثاني من القرن العشرين تقريبا).

أو "هي دراسة جميع الثقافات والمجتمعات والبلدان والأمم من حيث علاقات القوة التي تربطها بسواها من الثقافات أو المجتمعات أو البلدان أو الأمم؛ أي الكيفية التي أخضعت بها الثقافات الفاتحة الثقافات المفتوحة لمشيئتها؛ والكيفية التي استجابت بها الثقافات المفتوحة لذلك القسر أو تكيفت معه أو قاومته أو تغلبت عليه[٥]. وهذا التعريف أكثر شمولا حيث يتناول العلاقات الكولونيالية في كل أنحاء المعمورة وعلى امتداد التاريخ بأكمله".

ويرى دوغلاس روبنسون أنه "في هذا المستوى تبدو النظرية ما بعد الكولونيالية على أنها طريقة في النظر إلى القوة بين الثقافة والتحولات النفسية الاجتماعية التي تحدثها ديناميات الهيمنة والإخضاع المتوائمة والانزياح الجغرافي واللغوي. وهي لا تحاول أن تفسر كل الأشياء في هذه الدنيا بل تقتصر على هذه الظاهرة الواحدة المهملة، السيطرة على ثقافة معينة من قبل ثقافة أخرى"[٦].

نشأة نظرية النيوكولونيالية

تعد نظرية النيوكولونيالية من أهم الدراسات النقدية المعاصرة التي شغلت العديد من الباحثين والمفكرين وهي تهتم بدراسة التأثير الثقافي والاجتماعي للاستعمار الأوروبي والطرق التي تستخدم لمقاومة الاستعمار.

وترجع الإرهاصات الأولى لنظرية النيوكولونيالية إلى خمسينيات القرن العشرين ولكن تحددت أطرها ومناهجها في السبعينيات، وظهر هذا المصطلح في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات وذلك بعد أن نالت الكثير من الدول استقلالها في خمسينيات القرن الماضي مما أدى إلى تقلص هيمنة الامبراطوريات الكولونيالية في أوروبا وخاصة بريطانيا العظمى وكذلك شهد نهضة أدبية وفكرية لأبناء تلك المستعمرات نتيجة استقلالهم حيث ساهمت كتاباتهم المناهضة للكولونيالية في تحيق الاستقلال الذين كانوا ينشدونه ويسعون إليه، ومن بين تلك الكتابات:

-كتاب "صورة المستعمر" للكاتب التونسي ألبير ميمي عام ١٩٥٧م.

-كتاب "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" للكاتب "فرانر فانون" عام ١٩٥٢م.

"History Shall Absolve Me" خطاب فيديل كاسترو الشهير

رواية "أشياء تتداعى" للكاتب النيجيري "تشنوا آتشي" عام ١٩٥٨م.

كتاب "معذبو الأرض" للكاتب فرانر فانون عام ١٩٦١م.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

كتاب "المستعمِر والمستعمَر" للكاتب ألبير ميمي عام ١٩٦٥م.

أعلام هذه النظرية:

كان للمفكرين فرانر فانون وإدوارد سعيد دور بارز في تأسيس هذا الفكر أو النظرية ومن آرائهم:

١. فرانر فانون

يرى **فانون** في كتابه **"معذبو الأرض"** أن العنف هو الطريق الأوحد لفك الاستعمار والتخلص منه ويرفض فانون أي محاولة للتوصل إلى حل أو تسوية أو مفاوضات وذلك لأن "العالم الاستعماري عالم ثنائي يحاول كل طرف أن يحل محل الآخر لذا لا يمكن زوال هذه الثنائية إلا بالعنف، فتغيير المستعمَر للعالم الاستعماري ليس معركة عقلية بين وجهتي نظر، وليس خطابا في المساواة بين البشر إنما هو تأكيد عنيف لأصالة مطلقة"[٧]. لأنه يرى أن الفعل الاستعماري تم على نحو عنيف ويشهد التاريخ على مجازر الاحتلال ووحشيته والإبادات الجماعية التي ارتكبها في حق الشعوب بدعوى التمدن والحضارة مؤكدا على ذلك في قوله: "إن النظام الاستعماري يستمد مشروعيته من القوة وهو لم يحاول في أي لحظة من اللحظات أن يراوغ في هذا الأمر الذي يتفق وطبيعة الأشياء"[٨].

ومن أهم مؤشرات ما بعد الكولونيالية أو النيوكولونيالية لدى فانون رفضه للمعايير المزدوجة في الغرب الذي يتشدق بحقوق الإنسان ويتبجح بشعارات الديمقراطية وغيرها من شعاراتهم الرنانة كما أن مؤسسات العولمة مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والمنظمات الاقتصادية الكبرى التي لها أهدافا سياسية ما هي إلا الوريث التقليدي للمؤسسات الكولونيالية القديمة التي استغلت الدين والتعليم من أجل تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية[٩].

ولقد حذر فانون من التبعية للمستعمر والتشبه بالشخصية الكولونيالية والرغبة في تقمصها فالاستقلال الحقيقي لديه هو الاستقلال الفكري والنفسي عن كل ما يرتبط بالمستعمر وهو يوافق مالك بن نبي في رؤيته حول مفهوم القابلية للاستعمار ومعالجته له[١٠].

كما دعا فانون إلى تعويض الشعوب التي استعمرتها أوروبا تعويضا عادلا عن الثروات التي تم استنزافها وسرقتها أثناء فترة الاستعمار، وهذا هو التعويض العادل الذي يقدم لهم.

ويتفق إميلكار كابرال مع فانون على أهمية العودة إلى الهوية الثقافية الوطنية والتخلص من التأثيرات الضارة للثقافة الاستعمارية في سبيل التحرر من السيطرة الإمبريالية والاضطهاد الثقافي، فيقول "إن الشعب الذي يحرر نفسه من الهيمنة الأجنبية لن يتحرر ثقافيا إلا إذا عاد إلى المسارات الصاعدة لثقافته التي تأخذ بأيدي الشعوب إلى واقع بيئتهم ومعها ينتفي كل من التأثيرات الضارة وكل أنواع الخضوع للثقافة الأجنبية. وبالتالي، يمكن ملاحظة أنه إذا كانت للسيطرة الإمبريالية حاجة حيوية لممارسة الاضطهاد الثقافي؛ فإن التحرر الوطني هو بالضرورة فعل ثقافي"[١١].

٢. إدوارد سعيد

كان للمفكر **إدوارد سعيد** دور بارز في تأسيس هذا الفكر، وفي كتابه "الاستشراق" انتقد إدوارد سعيد الخطاب الغربي عن العالم الإسلامي والسياسة الاستعمارية لدول العالم الثالث منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن العشرين وكذلك المرحلة الجديدة من السيطرة الغربية على دول العالم والتحكم في ثرواته وفرض ثقافتهم الغربية عليهم[١٢].

وقد استطاع إدوارد سعيد تعرية المركزية الغربية ونقد أسسها التي جاءت بها، ويرى أن الإمبريالية تتحكم في البلاد الغربية وتسيطر عليه منذ القرن الثامن عشر فقد اتخذ الغرب أسبابا واهية وشعارات وهمية

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

بدعوى نشر التحضر والتنوير من أجل استمالة وجذب الشرق ولكن ما كان ذلك إلا شعارات واهية خداعة لتحقيق أطماعهم التوسعية واستنزاف ثرواته وتهميش ثقافة الآخر[١٣].

ويعد الاستشراق أحد مباحث هذه النظرية، فيرى إدوارد سعيد أنه "أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه"[١٤]. وبتعريف آخر له يقول: "هو أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى (الشرق) وبين ما يسمى (الغرب)".

ومن خلال البحث حول نظرية النيوكولونيالية فإنه يتضح طبيعة العلاقة بين المستعمَر والمستعمِر الذي يرى نفسه له الحق في السيطرة على الآخر وبلاده وانتهاك حريته وسلب أرضه ونهب ثرواته فالمستعمر الأوروبي يمثل الإنسان المتحضر المؤهل لقيادة الكون والسيطرة عليه لما يمتلكه من مزايا فهو صاحب البشرة البيضاء وهم أصحاب التطور والتقدم العلمي. ويؤكد **عبد الله إبراهيم** ذلك في كتابه "محاورات سردية" فيقول: "الثقافة الغربية هي مجموعة من التصورات الأيديولوجية ذات الطابع العرقي أو الثقافي أو الديني التي ترى أن العرق الأوروبي هو الأفضل بين العروق وأن الثقافة الغربية هي السمى بين الثقافات وأن الديانة السائدة في اوروبا هي الأكفأ بين الديانات. كل إنسان في نهاية المطاف لابد أن ينتمي إلى دين وثقافة وعرق ولكن الخطر يتأتى حين يقوم بإنتاج أيديولوجيا تتفوق، ويعتقد في ضوئها أنه الأفضل عرقا وثقافة ودينا وهذا ما حصل في تجربة الثقافة الأوروبية خلال القرون الخمسة الأخيرة"[١٥].

أما **جميل حمداوي** فيرى أن هذه النظرية أظهرت مجموعة من الإشكالات الجوهرية التي تتعلق بالتجربة الاستعمارية، وتتعرض للاستغراب من جهة وعلاقة المستعمر بالشعوب المستعمَرة من جهة ثانية، وبذلك فإنها قراءة للفكر الغربي في تعامله مع الشرق من خلال مقاربة نقدية أو تحليل لمكونات الخطاب الاستعماري الفكرية والمنهجية بهدف استكشاف الأنساق الثقافية المتحكمة فيه[١٦].

الخطاب Discourse

يعد مفهوم الخطاب مصطلحا لسانيا حديثا يتميز عن غيره من مصطلحات النص أو الكلام أو الكتابة فهو أحيانا يشتمل على كل ذلك، ومن الممكن أن يطلق على محتوى النثر أو الشعر أو المقالات أو أي شيء سواء أكان منطوقا أم مكتوبا، فرديا أو جماعيا، كما يمكن أن يكون صادرا عن مؤسسة أو دولة أو فترة زمنية معينة أو مجالا معرفيا معينا[١٧].

الخطاب لغة واصطلاحا

ورد في لسان العرب لابن منظور: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"[١٨].

وجاء في القاموس المحيط: "خ.ط.ب: (الخطب: الشأن والأمر صغر أو عظم ج: خطوب والخطاب- كشداد: المتصرف في الخطبة، واختطبوه: دعوه إلى تزويج صاحبتهم. وخطب على المنبر خطابه بالفتح، وخطبة بالضم، وذلك الكلام خطبة أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب: حسن الخطبة بالضم....."[١٩].

ذكر محمد الباشا في معجمه الكافي أن الخطاب: "مصدر خاطب: المواجهة بالكلام، والخطابة مصدر خطب: عمل الخطيب وحرفته. والخُطب: مصدر خَطب: الحال والشأن. قال تعالى: "فما خطبكم أيها المرسلون"[٢٠] الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه والجمع خطوب، الخطبة: مصدر خطب: ما يخطب به من الكلام"[٢١].

مفهوم الخطاب لدى أبو التهانوي:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

الخطاب هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام. وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب. الخطاب اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه. فاحترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، وبالمتواضع عليه، عن الأقوال المهملة. وبالمقصود به الإفهام، عن كلام لم يُقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا. وبقوله لمن هو متهيء لفهمه، عن الخطاب لمن لا يفهم كالنائم، والظاهر عدم اعتبار القيد الأخير، لهذا يُلام الشخص على خطابه من لا يفهم. والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع على مدلولها القائم بالنفس. فالخطاب: إما الكلام اللفظي، أو الكلام النفسي الموجه به نحو الغير للإفهام والمتبادر من عبارة الإحكام الكلام اللفظي"[٢٢].

عناصر الخطاب

تعني كلمة الخطاب الكلام والاستجابة للكلام وذلك في إطار عملية التواصل، وعليه فإن الخطاب نشاط لغوي تواصلي قائم على عدة عناصر هي:

- المتكلم أو المخاطب أو المتحدث.
- السامع أو المخاطب أو المتحدث إليه.
- قناة التخاطب التي تساعد على الربط بين المتخاطبين.
- المقام الذي فيه كل من المتكلم والمخاطب ويتمثل في ستة عناصر تتفاعل معا لتحقيق التواصل وهي الظروف التي تحيط بالخطاب والزمان والمكان والمشتركين في الحدث والقدر المشترك في المعلومات بين المتخاطبين، والوضع المشترك في اللغة والثقافة المصطلح عليه.[٢٣]

الخطاب النيوكولونيالي:

ظهر مصطلح الخطاب النيوكولونيالي في السبعينيات من القرن العشرين، وهو خطاب نقدي وفكري يحاول معالجة الآثار السلبية للاستعمار على الدول المستعمرة من الجوانب الثقافيه والنفسية والفكرية وحتى السياسية والتاريخية وتحليل الخطاب الكولونيالي الممزوج بالهيمنة والتسلط والعنصرية الذي كان دأبه الدائم السعي لإرساء الهيمنة الغربية[٢٤].

ويميز مؤلفا دليل الناقد الأدبي بين مصطلحي "الخطاب الاستعماري" (الكولونيالي) و"نظرية ما بعد الاستعمارية" (ما بعد الكولونيالية)، بالرغم من أنهما يكملان بعضهما البعض حيث يشير الخطاب الاستعماري إلى تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات، من نتاج يعبر عن توجهات استعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب. بينما ينطلق مصطلح ما بعد الاستعمارية من فرضية أن الاستعمار قد انتهى وأن مرحلة من الهيمنة قد حلت وخلقت ظروفا مختلفة تستدعي تحليلا من نوع معين[٢٥].

ولقد سعت القوى الاستعمارية إلى استخدام الأدب كأداة تساهم في تحقيق مصالحها وأطماعها نظرا لأن سياساتها قائمة على التهميش والسيطرة والإخضاع وكانت تقاوم الآداب التنويرية المناهضة لتلك القوى الاستعمارية وحاربتها وحاولت ابقائها تحت هيمنتها والسيطرة عليها بشكل مباشر لأنها ترى أن هذا الخطاب قويا ومؤثرا على تحقيق أهدافها وعلى الرغم من كل هذه القيود التي يفرضها المستعمر على الشعوب المستعمرة إلا أنها استطاعت التعبير عن ذاتها وتطلعها الجاد نحو إثبات الذات والهوية والتعبير عن تجربتهم المريرة مع الاستعمار الأجنبي الذي ينهب ثروات بلادهم ويريد طمس هويتهم وتراثهم.

ودعت مضامين الخطاب في عصر التنوير والحداثة الأوروبية إلى احترام الحرية الفردية ولكن تلك المضامين اصطدمت بممارسات الحكومات الاستعمارية مع الشعوب المستعمرة وانحسرت تلك المضامين

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

في إطار جغرافي محدد وهو الإطار الأوروبي ولا يجوز تطبيقها خارج ذلك الإطار الأوروبي بل كان الخطاب العنصري هو السائد.

وترى **أنيا لومبا** إلى أن الاتصال الاستعماري لا ينعكس فقط في اللغة أو الصور البيانية للنصوص الأدبية فهو ليس ستارة خلفية فحسب بل شكلا مركزيا لما يجب أن تقوله النصوص عن الهوية والعلاقات والثقافة"[٢٦]. وترتبط عملية تفكيك الاستعمار بتفكيك الآثار التي يخلفها وراءه في اللغة والآداب والثقافة والاقتصاد والسياسة، ويرى فانون أن ذلك يستوجب استراتيجيات وآليات للمقاومة لتقويض ما جاء به الخطاب الكولونيالي من استراتيجيات قائمة على العنف والعنصرية والفوقية واستعادة الفضاء الثقافي الذي كان موجودا قبل الاستعمار وتنتهي بذلك الرغبة المشوهة للمستعمر في أن يصبح شبيها بالمستعمر إلى اعترافه بأصله وهويته الثقافية[٢٧].

ومن الجدير بالذكر أن الخطاب أهميته في الدراسات النقدية فلقد "أفاد الكثير من النقاد من تحليل الخطاب، مثلا في دراسة الحوار الروائي، خاصة الكيفية التي يتمكن بها المتحاورون من الاستدلال إلى معنى دون أن تكون هناك دلالات ظاهرة عليه"[٢٨]. ولقد وظف إدوارد سعيد هذا النوع من التحليل في تحليله للخطاب الاستشراقي وكشف البنى الفكرية والأيديولوجية الظاهرة والمضمرة داخل أنساق الخطابات الاستشراقية والكولونيالية سواء أكان هذا الخطاب جاء على شكل روايات أم أبحاث أم مقالات صحافية أم سرديات أدبية أخرى التي تناولت الشرق بكل أبعاده[٢٩].

النيوكولونيالية في الخطاب الروائي العراقي

النقاد العراقيون برصد الممارسات النيوكولونيالية في الخطاب الروائي العراقي وخاصة بعد الاحتلال الأمريكي لها عام ٢٠٠٣م، وكان للدكتور "سمير الخليل" بصمة بارزة في ذلك حيث سعى إلى تطبيق مفاهيم "النقد ما بعد الكولونيالية" أو "النيوكولونيالية" التي تسعى إلى فحص النصوص الثقافية والأدبية التي صدرت في البلدان التي كانت واقعة تحت وطأة الاستعمار من قبل وبخاصة الاحتلال البريطاني في بلدان العالم الثالث في آسيا وإفريقيا، ثم عمد الدكتور سمير الخليل إلى قراءة الروايات الأدبية الحديثة وفحصها لمواجهة الاحتلال الأمريكي الذي تعرضت له العراق في كتابه **"روايات ما بعد الكولونيالية -اليانكي: التحولات الفنية والفكرية والثقافية"** والذي صدر في عام ٢٠٢٣م حيث أنتجت آثارا واضحة في الرواية العراقية على مختلف المستويات الفنية السردية والثقافية والاجتماعية، فيقول: "وهاجس قراءتنا هو رصد ديناميكية الرواية وتمثيلها السردي لموضوعات نحسبها تجسيدا لمفاهيم ما بعد الكولونيالية الأمريكية (اليانكية)، والكيفية التي ضمت استراتيجية جديدة... وتوظيف واع من الروائيين، وبتقنيات يتحول فيها النص عبر المتخيل السردي، إلى حقيقة إبداعية لا تحيل إلى بديل آخر غير الواقع الذي انبثقت منه وتفرعت عنه"[٣٠].

وقد عرض الناقد لمجموعة من الروايات التي صدرت لمجموعة من الكتاب العراقيين الذين رفضوا سياسة الاحتلال الأمريكي الغاشم الذي أسس لمجموعة من السياسات التي قادت إلى تدمير البنية التحتية للمجتمع وتشويه منظومة الأخلاق والقيم الاجتماعية وتشويه الهوية الوطنية والعمل على نشر الفوضى والإرهاب والعنف وغيره.

مفهوم الرواية لغة واصطلاحا

الراوية لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (روى): "تروي معناه تستقي، يقال: قد روى معناه استقى على الرواية".

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وروى الحديث والشعر يرويه رواية وتروّاه، وقد روّاني إياه ورجل راوٍ.
ويقال رَوَى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه[٣١].

الرواية اصطلاحا:

يعرف **فتحي إبراهيم** الرواية بأنها "سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية شكل أدبي جديد، لم تعرفه الصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صاحبها من تحرر الفرد من رجعة التبعيات الشخصية"[٣٢].

حول رواية خاتون بغدد

إن رواية خاتون بغداد إحدى روايات شاكر نوري الأكثر جدلا حيث تناولت السيرة الذاتية للمس بيل التي حظيت بألقاب متعددة منها "الخاتون"، و "صانعة الملوك"، و "ملكة العراق غير المتوجة"، فلقد أراد شاكر نوري مؤلف رواية "خاتون بغداد" أن يعيد الاعتبار لشخصية مس بيل والتي ألفت ١٦ كتابا عن العراق وأصبحت جزءا من تاريخ العراق المعاصر من خلال المزج بين التاريخ والسيرة والعاطفة والخيال في بوتقة واحدة تتمازج فيها عناصر السرد والسيناريو والمسرح والسينما والمراسلات بذكاء وخفة ومهارة عالية لا مثيل لها مما يُحسب له.

كما أن رواية خاتون بغداد ذات مذاق خاص، فبالرغم من أنها اعتمدت على الوثائق إلا أنها ليست وثائقية ولا تؤرخ بقدر ما ترصد الصراع المليء بالعواطف والأحاسيس لأسطورة حية وامرأة إشكالية هي مس غيرترود بيل التي عاشت وماتت في بغداد. وتعتمد الواية في تقنيتها على شخصيات مهووسة بهذه المرأة التي صنعت الملوك في الشرق ومنهم الملك فيصل الأول والملك سعود بن عبد العزيز. ولقد وطدت مس بيل علاقتها السياسية مع كبار القادة والساسة البريطانيين أمثال السير بيرسي كوكس وهنري دوبس والمستر جون فيلبي وتشرشل ولورنس العرب.

هذا؛ وقد نجح شاكر نوري في البعد عن الرتابة في السرد التاريخي والقصصي وقدم لنا السرد في حبكة متقنة تدور حول الاستعمار البريطاني والاستعمار الأمريكي للعراق من خلال شخصية مس بيل في "خاتون بغداد" بالإضافة إلى ست شخصيات أخرى افتتنوا بها وبحثوا عنها كما بحثت شخصيات بيراندييللو الست عن مؤلف يمنحها الحياة.

وتعد رواية خاتون بغداد أول رواية في العالم تتناول مؤسسة المملكة العراقية والدستور العراقي والمتحف العراقي والمكتبة الوطنية وهذا ما يميز روايتنا -موضع الدراسة- عن غيرها من الروايات، فهذه الموضوعات نراها في الكتابات التاريخية والنقدية ولم تتعرض لها الأعمال الأدبية و الفنية من قبل سوى الفيلم الهوليودي "ملكة الصحراء" للمخرج الألماني وارنر هيرزوغ.

ولعل القارئ يلاحظ تعاطف الكاتب مع الشخصية الرئيسية محور الرواية -مس بيل- بالرغم من كونها رمزا للاحتلال البريطاني الذي لايختلف كثيرا عن الاحتلال الأمريكي الذي طال العراق في أوائل القرن الحادي والعشرين والذي شهده كاتبنا. فكلاهما دمر العراق وقتل مواطنيه ونهب ثرواته وعانى الشعب العراقي الكثير والكثير في ظل هذا الاستعمار الغاشم. فلقد حاول شاكر نوري أن يحدث توازنا بين الجانب الموضوعي والجانب الذاتي فبالرغم من أن مس بيل رمزا للاحتلال البريطاني إلا أنها لم تكن شرا ووبالا كلها فلقد ألفت ستة عشر كتابا عن العراق كما سعت إلى تأسيس المتحف والمكتبة الوطنية ببغداد.

شخصيات رواية خاتون بغداد:

بالإضافة إلى شخصية مس بيل -السابق ذكرها- ظهرت ست شخصيات أخرى في الرواية وهم:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

أبو سقراط فيلسوف بغداد، ويونس كاتب سيناريو، ونعمان كاتب سيناريو أيضا، وهاشم مشغل آلة عرض في سينما غرناطة، ومنصور حارس مقبرة الخاتون، وفيرناندو المحقق الأممي في احتراق مكتبة بغداد.

التعريف بالمؤلف شاكر نوري في سطور

ولد شاكر نوري في جَلولاء- ديالى، قصد مدينة أبيه بغداد ليدرس في جامعتها، وينال شهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي في ١٩٧٢م. ثم عاد إلى مدينته ليعمل أستاذا للغة الإنجليزية في الثانوية لمدة أربع سنوات، ثم قرر الهجرة إلى باريس في ١٩٧٧م، ومكث فيها حتى عام ٢٠٠٤م بعد أن حصل على درجة الماجستير في الإعلام من المدرسة العليا للدراسات وشهادة "بي. تي. أس في التصوير السينمائي من معهد لوي لوميير في ١٩٧٩م والدكتوراه في السينما والمسرح من جامعة السوربون في ١٩٨٣م.

وعمل نوري مُراسلا ثقافيا لعدد من الصحف والمجلات العراقية والعربية وعمل في إذاعة مونتكارلو وجامعة السوربون. كما عمل في الصحافة والإعلام والتدريس الجامعي في دبي.

نال جائزة ابن بطوطة لدب الرحلات عن كتابه "بطاقة إقامة في برج بابل. يوميات باريس" عام ٢٠١٣م.

خاتون

جاء لقب خاتون من تأنيث كلمة "خاقان- تون" والتي تعني السلطان أو الملك، وبذلك يكون المقصود من كلمة خاتون "السيدة أو السلطانة أو المعظمة"، وهو اسم تركي يطلق على زوجة الخليفة وكل امرأة شريفة. ولقد استخدم هذا الاسم أيام التركمان السلاجقة وأطلق على "خاتون العُصمة" بنت ملكشاه السلجوقي وزوجة المستظهر بالله العباسي، واستخدمتها الطبقة العالية لدى الترك قديما، ويقابل لقب "خاتون" في اللغة العربية "سيدة من سيدات الطبقة الراقية لزوجات وبنات الملوك والسلاطين". وكان المؤرخون في أكثر الحالات ينسون ذكر الأسماء الحقيقية لمثل هؤلاء الزوجات والبنات ولا يذكرون إلا لقب خاتون فقط مثل ابنة "معين الدين أنر" صاحب دمشق زوجة السلطان نور الدين زنكي وزوجة السلطان مِلكشاه السلجوقي وابنته ووالدة السلطان محمد خوارزم شاه سلطان الإمبراطورية الخوارزمية وغيرهن وأمثالهن كثيرات في التاريخ. ولقد حظيت مس غيرتود بيل بهذا اللقب فلقبت بخاتون بغداد.

خاتون بغداد "مس غيرتود بيل"

هي غيرتود بيل ، ولدت في ١٤ يوليو ١٨٦٨م في انجلترا، كاتبة ورحالة وعالمة آثار بريطانية، عرفت بالذكاء وقوة الملاحظة، عملت مستشارة للمندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس في العراق، جاءت إلى العراق عام ١٩١٨م، لعبت دورا هاما في ترتيب أوضاع العراق بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وكانت أكبر عون للمندوب السامي البريطاني في هندسة مستقبل العراق، كان لها الفضل في تأسيس المكتبة الوطنية والمتحف العراقي الذي ضم أهم الآثار التي وجدتها والآثار العراقية البابلية القديمة والمخطوطات والتحف، وقد اقترحت مس بيل مع لورانس قيام مجلس تأسيسي للدولة العراقية بهدف تنصيب الملك فيصل بن الحسين ملكا على العراق، ويعرفها العراقيون القدماء بلقت الخاتون بينما يعتبرها البعض جاسوسة بريطانية. توفيت في ١٢ يوليو ١٩٢٦م ودفنت في العراق.

لمحة عن بغداد

بنى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بغداد في القرن الثامن الميلادي واتخذها عاصمة للدولة العباسية وقد كانت بغداد منارة ومركزا للعلم وملتقى العلماء لقرون عدة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وامتاز أهل بغداد بالفصاحة ونصاعة البيان وبحبهم الشديد لطلب العلم والجد والجلد في طلبه وقد كان "سفيان بن عيينة" كثير الثناء على أهل بغداد وشدة رغبتهم في طلب العلم ويفضلهم على شباب الأمصار الأخرى في زمانه.

قال عنها أبو القاسم الديلمي: "سافرت الآفاق ودخلت البلدان من حد سمر قند إلى القيروان، ومن سرنديب إلى بلد الروم، فما وجدت بلدا أفضل ولا أطيب من بغداد".

وتغنى في حبها الكثير من الشعراء، قال سعد بن محمد بن علي الهمذاني:

فِدى لك يا بغداد كل مدينة ... من الأرض حتى خطتي وديارِيا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها ... وسيرت خيلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلا ... ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرق شمائلا ... وأعذب ألفاظا وأحلى معانيا

وقال طاهر بن المظفر الخازن:

سقى الله صوب الغاديات محلة ... ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجسر
هي البلدة الحسناء خُصت لأهلها ... بأشياء لم يجمعن مذ كن في مصر
هواء رقيق في اعتدال وصحة ... وماء له طعم ألذ من الخمر
ودجلتها شطآن قد نظما لنا ... بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر
تراها كمسك والمياه كفضة ... وحصباؤها مثل اليواقيت والدرِّ

بغداد في عهد الاحتلال الانجليزي

دخل الجيش الإنجليزي بغداد -مدينة السلام- في اليوم الحادي عشر من شهر آذار سنة ١٩١٧م، ونشر القائد العام الإنجليزي بيانا يوضح أن الجيش الإنجليزي لم يدخل العراق غازيا قاهرا، وإنما جاء محررا ولا غرض له سوى إبعاد الجيش التركي عن البلاد، بالإضافة إلى رغبتهم الشديدة في مساعدة العرب على إحياء مجدهم ودولتهم ومنذ ذلك الحين أصبحت بغداد تُدار إدارة خاصة، ثم عقدت الهدنة بين الإنجليز والعثمانين في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٨م، وفي يوم ٣٠ تشرين الثاني من العام ذاته طلب الإنجليز أن يجيب العراقيون عن تلك الأسئلة الثلاث من خلال منتدبين اختيروا لهذا الغرض وكانت تلك الأسئلة هي:

١. هل ترغبون بحكومة عربية مستقلة تحت الوصاية الإنجليزية يمتد نفوذها من أعالي شمال الموصل إلى خليج فارس؟
٢. هل ترغبون أن يرأس هذه الحكومة أمير عربي؟
٣. من يكون ذلك الأمير الذي تختارونه؟[٣٣]

فأجاب العراقيون إلى إنشاء حكومة عربية مستقلة يرأسها أحد أنجال الملك حسين بن علي.

وفي ٢٥ نيسان سنة ١٩٢٠م انتزع الإنجليز من عصبة الأمم المتحدة صكّ الانتداب والذي جاء فيه: "الاعتراف بدولة العراق دولة مستقلة بشرط قبولها المشورة الإدارية والمساعدة من قِبل دولة منتدبة إلى أن تصبح قادرة على القيام بنفسها....."، وفي ذلك عُهد إلى السيد عبد الرحمن نقيب الأشراف في بغداد أن يقوم بتشكيل حكومة مؤقتة لإشراك العراقيين في إدارة المملكة.

ثم وقع اختيار العراقيين على سمو الأمير فيصل بن الملك حسين بن علي وكاتبوا والده فأجاب رغبة العراقيين ووصل الأمير بغداد واستُقبل بحفاوة كبيرة لم تشهده بغداد من قبل، وصار ملكا دستوريا على المملكة العراقية بعد استفتاء عام في العراق. ثم سعى العراقيون إلى الاستقلال التام حتى تم عقد المعاهدة

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

العراقية الإنجليزية في ٣٠ حزيران عام ١٩٣٠م وتخلص العراق من قبضة الانتداب الإنجليزي وحصل على استقلاله كما أراد[٣٤].

وسنتوقف عند بعض مظاهر النيوكولونيالية التي جاءت في رواية خاتون بغداد للروائي العراقي شاكر نوري:

- لم يقتصر استغلال الدول المستعمِرة للبشر بجعلهم عبيدا يقدمون لهم الخدمات بل جعلوا منهم جنودا يقاتلون من أجل مصالحهم الاستعمارية حيث قامت الإمبراطورية البريطانية بتجنيد عدد كبير من الهنود لخوض الحربين العالميتين الأولى والثانية كما جاءت بريطانيا بجنود هنود وأفارقة إلى المستعمرات التي دخلتها وهذا تجلى بوضوح في رواية خاتون بغداد حيث الاستعرض الشتوي للجيش البريطاني لصفوفه في موكب مهيب انطلق من شارع الرشيد إلى باب المعظم قرب الكنيسة البريطانية عند مدخل شارع أبي نواس. فكانت الصدارة للجنود البريطانيين على خيولهم بالطبع يليهم الجنود الهنود الذين تم تجنيدهم من قبل بريطانيا ثم الجنسيات الأخري وهذه الصورة -بالتأكيد – تمثل العنصرية.

"لم تخف مس بيل نظرات الإعجاب بالجيش البريطاني، بصفوفه المختلفة، وهم يستعرضون قطعاتهم، الإنجليز على صهوة خيولهم في الصدارة، ثم يليهم الضباط الهنود مع فصائلهم من المشاة، بعدها يأتي الجنود المنحدرون من جنسيات وأديان أخرى، السيخ والكوركا والبانيان والأفارقة والمسلمون ثم "الشبانة"، عشائر العمارة أو الآثوريون، الذين دربوا تدريبا عسكريا صارما، ثم أصبحوا مدربين لأفراد الجيش العراقي الوليد"[٣٥].

- ومن مظاهر الاستعمارية النظرة الاستعلائية أو نظرة الدونية التي كان ينظر بها المستعمر وقادته للشعوب المستعمرة، وهذا ما كانت ترفضه مس بيل لذلك كانت تحاول التقرب إلى قادة العشائر والقبائل العراقية أصحاب الكلمة وفهم ما يفكرون به وما يسعون إليه وتحاول استمالتهم كي لا يحدث تصادم بينهم وبين المندوب السامي البريطاني فتقول مس بيل:

"ومنذ تلك اللحظة بدأت عملي الشاق في عقد لقاءات بين المندوب السامي وبين شيوخ العشائر ورؤساء القبائل رغم صعوبة التفاهم واختلاف الأمزجة وتنوع الأفكار، لأن المرء بحاجة إلى التسلح بكل علوم الكون لكي يفهم ما يختلج في نفوس هؤلاء البدو. وعادة لا يبذل الإنجليزي أقصى جهوده ليفهم الآخر، ربما يعود ذلك إلى استعلائية النزعة الاستعمارية التي تنظر إلى الآخرين نظرة دونية لم أكن أوافق عليها أو أستسيغها. لذا كنت أبحث في أعماقي عن قدرة الفهم لكي أفهم الإشارات والملامح والانفعالات التي ترتسم وراء الوجوه. وبدأت أعمل على كتابة التقارير الموجزة عن أسماء شيوخ العشائر ورؤساء القبائل ومناطقهم والأمور التي يريدون التحدث بها من أجل تسهيل المهمة على المندوب السامي في لقاءاته معهم"[٣٦].

- من مظاهر النيوكونيالية طمس الثقافة وتدمير المكتبات ودور العلم مثلما حدث في حريق مكتبة الاسكندرية في مصر ومكتبة بغداد التي نحن بصددها في روايتنا "خاتون بغداد" والتي احترقت بعد دخول القوات الأمريكية لبغداد، وتم الاستيلاء على ما بها من كتب أثرية وتهريبها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ليس بجديد على بغداد وإرثها الثقافي بل هو فعل قديم يمارسه الأعداء فمنذ ألف سنة مرت -تقريبا- ولما كانت بغداد عاصمة العالم العربي الثقافية وفي القرن الثالث عشر الميلادي قام جنود جنكيز خان بحرق المدينة ليس هذا فحسب بل إنهم قاموا برمي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

الكتب في نهر دجلة وفي ذلك قيل إن مياه دجلة كانت تجري سوداء جراء حبر الكتب التي أُلقيت في النهر فاصطبغت مياهه بلون الحبر لمدة سبعة أيام.

إن حريق المكتبة الوطنية أحد فصول سلب بغداد ونهبها فقد تحولت دار الكتب الوطنية وهي كنز لا يقدر بثمن بما تحتويه من أمهات الكتب ومخطوطات ووثائق تاريخية إلى رماد. وتحت عنوان **المكتبة الوطنية** في رواية خاتون بغداد دار الحوار بين أبو سقراط وفيرناندو الخبير الدولي بشؤون المكتبات والذي جاء في مهمة رسمية لإعداد تقرير عن احتراق المكتبة الوطنية في بغداد وقد تذكر أبو سقراط مس بيل (خاتون بغداد) التي قامت بتأسيس المكتبة الوطنية وأطلقت عليها مدينة السلام.

لقد كان حريق المكتبة الوطنية ببغداد كان مقصودا ومدبرا -بلا شك- للقضاء على هذا الإرث الثقافي الهائل وهذا ما أوضحه أبو سقراط في حديثه مع فيرناندو فيصور للقارئ هذا المشهد المأساوي بمعنى الكلمة وكيف تم نهب ما بها من كتب ومخطوطات نادرة وقديمة؟ وكيف تم حرقها؟

يقول أبو سقراط:

"إنها الكارثة يا صديقي فيرناندو..... أن ترى مخطوطات نادرة وثمينة يعود بعضها إلى الخلافة الإسلامية والعصر الذهبي مثل مخطوطات ابن سينا ومراسلات الشريف حسين ومؤلفات عمر الخيام وأطروحات ابن رشد والكندي والفارابي.

تحترق أمام أعيننا ونحن عاجزين عن فعل أي شيء ولا زلنا نتساءل من الذي فعل ذلك؟

حشد من غوغاء الضواحي جاء وتوغل داخل مبنى المكتبة، جرى النهب الأوّلي برصانة وفطنة وتدبير وبسرعة خارقة وبطريقة فوضوية وسفيهة ووقحة، أطفال ونساء وشباب وكهول قاموا بسرقة الكتب تجولوا في المكتبة كأنهم يختارون مشترياتهم في أحد الأسواق. والعجيب أن موجات الناهبين كانوا يعرفون مكان المخطوطات النادرة والأكثر ندرة فسارعوا إلى حملها يتراكضون في كل الأزقة والطرقات إلى مكان مجهول، ولم يستثنوا أجهزة الاستنساخ والحواسيب والطباعة والأثاث والمعدات.

وكنت أتسائل: هل يتكرر احتراق مكتبة الإسكندرية؟

يا صديقي فيرناندو، بلغ الدمار حد أن مجموعة أشخاص وصلت إلى المكتبة الوطنية لا يحملون أية صفة رسمية في حافلات صغيرة زرقاء رشوا الوقود في دواليب الكتب قبل أن يشعلوا النار واستخدموا كتبا مبعثرة كحطب يُضرم النيران ويستعر الحريق، هل تتخيل المشهد؟[٣٧]

هل كانوا عراقيين أم جاؤوا من وراء الحدود؟

لا أحد يعرف بالضبط المهم أن أكثر من مليون كتاب ووثيقة ومخطوطة أصبح طعاما للنيران ثم انتقلت بعض الكتب إلى شارع المتنبي لتباع بأثمان زهيدة وأخرى رحلت إلى خارج الحدود وقد عثرت بنفسي على جزء من دائرة معارف "إنسكلوبيديا" عربية تحمل ختم المكتبة الوطنية، حاول السارقون مسح الختم من دون نجاح وكذلك كتاب نادر "مشخاف رش" أي "الكتاب الأسود" عن الثقافة اليزيدية وطبعات قديمة لألف ليلة وليلة وغيرها عن الحضارة السومرية ولم يكتفوا بذلك بل سرقوا الرُقم الطينية والنماذج الأولى للكتابة على الأرض.

هل هي المكتبة الوحيدة التي احترقت؟

لم يقتصر الأمر على ذلك بل احترقت أكثر من سبعمائة مخطوطة قديمة في مكتبتي الأوقاف وبيت الحكمة.

ألم يحاول المثقفون إنقاذ هذه الكتب؟

حاول البعض إنقاذ عدد منها بعد نقلها إلى أماكن سرية أو إلى أقسام غير مطروقة من المكتبة ولكن دون جدوى.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

يا إلهي! كيف يتجرأ الغرب على تدمير البلد الذي علمنا القراءة والكتابة.
إنها قيامة الكتب ياصديقي.

إن حريق المكتبة الوطنية ببغداد ما هو إلا نتيجة للفوضى والعبث، والعنف والإرهاب الذي يلجأ إليه المستعمر حتى يحقق أهدافه بالتأكيد. فها ذا حريق المكتبة تم بتدبير مقصود ومخطط له، فبعد أن تمت سرقة الكتب والمخطوطات النادرة بواسطة اللصوص الذي كانوا على علم -تماما- بأماكنها، أشعلوا النيران في المكتبة بما فيها من كتب ثمينة.

وهكذا كان المحتل -أيا كان- ولا يزال يعيث في الأرض فسادا محاولا طمس هويتها وإخفاء معالمها ونهب خيراتها وكنوزها حتى وإن كانت كتبا.

- ❖ تحاول الدول الاستعمارية إضعاف هوية المستعمَر والإخلال بالقيم والأخلاق وتعمل على إحلال وتمكين هويتها محل قيم وهوية الثقافات الأخرى بما يضمن لها الاستمرارية وتبعيتهم لها وتحقيق أهدافها.

ففي حديث العراقيين عن نهاية الحكم العثماني على بغداد بعد تدخل بريطانيا وما كان من خليل باشا إلا أن يجر ذيول الهزيمة إلى اسطنبول دون أن يأخذ نساءه معه فيقول أحدهم غير مصدقا ما حدث فيقول:

-" من كان يتصور أن يأتي هذا اليوم يا رجل؟

-هذه هي الأمور تريد أن تفهم أو لا تفهم... الإمبراطوريات تصعد تنهار منذ فجر.. والتاريخ ما هو إلا قصور من الرمال. جنود يرحلون وآخرون يأتون... من منكم يتصور أن وراء انهيار الإمبراطورية العثمانية هذه السيدة بحذائها ذي الكعب العالي وقبعتها العريضة؟ لا أحد ورب الكعبة... هكذا يقولون. والله أعلم. انظروا كيف يتكاثر البريطانيون يوما بعد آخر، وهم يغزون شوارع بغداد ويتنزهون بسراويلهم القصيرة ولا يحتشمون من نسائنا. راحت القيم يا أخي العزيز ...الاحتلال يطلق أول رصاصاته على القيم... فإذا نجح في ذلك تبقى مهمة قتل الرجال هي من أسهل المهمات... ومتى كان المحتلون يدافعون عن القيم التي يحاربونها يا أستاذ؟[٣٨].

وصدق شاعرنا أحمد شوقي عندما نبه إلي ضرورة التمسك بالقيم والأخلاق وعدم التخلي عنها فيقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهذا ما قصده العراقي في قوله (الاحتلال يطلق أول رصاصاته على القيم) فإذا انهارت القيم ضاعت الأمة وسَهُل الوصول إلى مبتغاهم واستطاع المستعمِر تحقيق أهدافه بسهولة.

- ❖ الخطب الرنانة والشعارات الواهية الكاذبة التي يحاول خداع المستعمر بها والسيطرة على أفكاره فبالرغم من من أن معظم العراقيين يبجلون مس بيل لما لها من إنجازات على أرض بغداد إلا أن البعض ينظر لها باعتبارها جزء من الجيش البريطاني أو أنها جاسوسة بريطانية فيكفي أنها تلميذة اللورد كرومر والمعروف بسياسته الاستبدادية وأنه أحد أعمدة الاستعمار البريطاني في مصر.

وفي روايتنا يتساءل الأفندية في بغداد عن السبب الحقيقي الكامن وراء سعي مس بيل وما هدفها ومبتغاها؟ فيقول:

عن ماذا كانت تبحث يا ترى؟
تساءل الأفندية بحيرة.
قال أحدهم: إنها تبحث عن شيء مختبئ في نفوس العراقيين، في دواخلهم العميقة، في آبارهم الغامضة.....
وأجاب آخر بغضب رافعا نبرة صوته:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

كفاكم هذيانا، البلد محتل، وأنتم تعيشون في الأوهام كل شيء مباح فيه حتى خيالاتكم أصبحت مريضة نحن في مهب الريح وأنتم غارقون في الفصاحة والبلاغة؟

رغم ذلك يردد الأفندية في زوايا المقاهي المظلمة اسم الخاتون ويبجلونها ويطلقون عليها المرأة الفريدة ويكرهون تسميتها المخبرة أو الضابطة أو الجاسوسة.

يا جماعة هذا كلام الأتراك والأعداء.

لا تقوم لنا قائمة بدون أبي ناجي. يعني: الاستعمار البريطاني

على الأقل هي مخلصة لتراثنا وأرضنا، ألا يكفي أنها تريد تأسيس متحف لنا ومكتبة؟ هل تتخيلون أنها أنقذت خان مرجان من فؤوس أمين العاصمة الأحمق أرشد العمري الذي يريد أن يهدم كل شيء باسم التحديث. إنها تعشق كنوزنا ولكنها لا تريد سرقتها بل تحارب اللصوص الفرنسيين والألمان من سرقتها، ألا يكفي ذلك كي نحني رؤوسنا لها، ونبخر الطريق الذي تسير عليه؟ هل تصدقون يا جماعة أنها وقفت ضد بلفور ووعده المشؤوم. لكن لا تنسوا أنها تلميذة اللورد كرومر أحد أعمدة الاستعمار في الشرق ذلك لا يعني شيئا. نحن نعرف البريطانيين، إنهم هنا لطرد العثمانيين لا للبقاء عندنا، انظر إنهم لا يشيدون أي شيء للبقاء، حتى ثكناتهم العسكرية يبنونها من الصفائح المليئة بالرمال إنهم قوم يفتحون المدن ويغادرونها لكنهم يتركون في رؤوس أبنائها لوثتهم التي يتعلقون بها إلى الأبد، إنهم يصنعون جيوشا نائمة تستيقظ في الوقت المناسب عندما يحتاجونها[٣٩].

وهنا يشير أحد الأفندية إلى حقيقة دخول القوات البريطانية لبغداد وأنهم يسعون لتغيير مبادئ هذا الشعب وتجنيده لحين الحاجة إليه فما كان طرد العثمانين من بغداد إلا ذريعة وحجة لدخول القوات البريطانية لبغداد آنذاك. وهذا ما أكدت عليه مس بيل أن بريطانيا تبحث عن موطئ قدم لها في العراق واعترفت به حين قالت:

"كان عليّ أن أزور شيوخ العشائر لأنهم يحكمون هذا البلد من الداخل، هم في الكواليس المظلمة لكنهم يمسكون بخيوط اللعبة، وكثير من جماعتنا لا يدركون أن هذا المجتمع عشائري في باطنه ومدني في ظاهره، نحن على فوهة بركان لا نعرف متى ينفجر، كانت الإمبراطورية بأمس الحاجة إليهم ولا أحد ينفذ إليهم غيري، هذا هو قدري وربما قدر الإمبراطورية التي تبحث لها عن موطئ قدم على أرض الرافدين.....ثم شرحت له: إننا أمام شعب جبار ربما يستعد أن يلجأ إلى أساطيره ذات يوم كالمارد الذي ينهض من كبوته"[٤٠].

وهذا ما أكد عليه أبو سقراط لفيرناندو في الحوار الذي دار بينهما في حانة الرافدين أن دخول الإنجليز للعراق كان بهدف الاستيلاء عليها وضمها إلى مستعمراتهم لا لطرد العثمانين وتنفيذ رغبة العراقيين في التخلص منهم وإبعادهم عن بلادهم ونيل حرياتهم كما ادعوا وأعلنوا، فيقول أبو سقراط:

انظر يا سيد فيرناندو إلى هذه الأسوار الشاهقة، إنها المقبرة البريطانية المهدمة منذ ما يقرب من مئة عام.

أتذكر ذلك، هم جاءووا هنا لطرد فلول الأتراك العثمانيين...

هكذا ادعوا ثم تربعوا على العرش.

هذا صحيح...

وفي سياق متصل قالت مس بيل للمندوب السامي البريطاني السير بيرسي كوكس أثناء حديثهم عن كيفية الوصول

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

إلى الشعب العراقي وكيف كانت خطبة "ستانلي مود" العصماء خطبة رنانة ومؤثرة في نفوس العراقيين، وكيف تكبدت قواته مشقة كبيرة من أجل الوصول إلى بلاد الرافدين وتحريرها من ربقة العثمانيين ولنشر الحضرة والرفاهية ومن أبرز ما قاله: "إننا لم ندخل بلادكم أعداء فاتحين بل دخلناها محررين"، وهذه هي طبيعة المستعمرين على مدى التاريخ فهم يحاولون تغليف أغراضهم الاستعمارية بشعارات براقة ولكنها في الحقيقة خداعة ومزيفة فهم يعلنون أنهم جاؤوا لنشر الحضارة والتقدم وتخليصهم من العبودية والجهل والفقر وهذا ما حدث في القرن الحالي عندما أعلن وزير الدفاع الأمريكي السابق قبيل حرب العراق ٢٠٠٣م وألقى بيانا مطابقا لما قاله ستانلي الذي سبقه بثلاثة قرون، تقول مس بيل للسير بيرسي كوكس:

إننا ينبغي أن نحترس ولا نخطئ بحق هذا الشعب ...انظر إلى تمثال الجنرال ستانلي مود راكبا على صهوة جواده في ساحات بغداد، ألا يشكل ذلك استفزازا لمشاعرهم؟

ضحك من أعماقه :

ولكنه فاتح بغداد، يا مس بيل، وخطبته تاريخية.

أجل يا صاحب السعادة، لا تزال مقاطع من خطبته ترن في أذني:

لم تأت جيوشنا لتحكم مدنكم وأراضيكم كقوة غازية، بل كقوة محررة.

عندما اجتاح القائد المغولي هولاكو بغداد ودمرها وعمل تلالا من نصف مليون جمجمة من جماجم سكانها، خضعت مدينتكم للأغراب الذين دمروا قصوركم وخربوا بيوتكم وأغرقوا حدائقكم بالفيضانات واستمر أجدادكم وأنتم أنفسكم بالعويل والنحيب، وأخذ أبناؤكم إلى حروب لم تختاروها ونهبت خيراتكم...

أن تنعموا بالازدهار كما كنتم في الماضي عندما كانت أراضيكم خصبة وأسلافكم أهل ثقافة وحضارة رائعين وأصحاب علم رفيع عندما كانت بغداد إحدى أهم عجائب العالم....

قلت في نفسي: خطاب مليء البلاغة والفصاحة، لكنه يحتوي على المكر الإنجليزي الخفي أيضا. كان البلاشفة يشعلون ثورتهم في روسيا. وهناك ما هو أخطر، وعد بلفور الذي يجعلنا في عيون العرب مثل الخنازير ثم جاءت معاهدة سايكس بيكو لتنزل مثل الزلزال على رؤوس العرب[٤١].

يا صاحب السعادة، فلسطين ليست بلدا مناسبا لليهود لأنها بلد فقير وأكثر من ثلثي سكانه من المسلمين، وينظرون إلى اليهود بازدراء لكن هذا الغبي بلفور لا يأبه لأحد.

يا مس بيل، نحن لسنا سوى خدم الإمبراطورية ننفذ ما تريده منا، أليس كذلك؟

أجل يا سعادة المندوب السامي، أفهمك تماما[٤٢].

وهنا تعترف وتقر بحقيقة خطاب ستانلي مود الماكر ومدى الزيف الذي يعتريه، كما تشير إلى خطورة وعد بلفور الذي أعطي الحق لليهود في إنشاء دولة لهم على أرض فلسطين، وكذلك معاهدة سايكس بيكو ١٩١٦م بين فرنسا وبريطانيا بمصادقة من الإمبراطورية الروسية وإيطاليا والتي نصت على تقسيم المناطق التابعة للدولة العثمانية بينهما وهذا ما أزعج العرب وأرادوا مقاومتهم.

ويتضح ذلك أيضا ما قالته مس بيل للسير بيرسي كوكس عندما علما برغبة مستر جون فيلبي بإقامة جمهورية عراقية بعد ما عزما على تولية الملك فيصل الأول فتقول مس بيل:

"يا للهول: لم أذق النوم في تلك الليلة، أحد عناصرنا يهددنا فكيف بالأعداء؟

ماذا نفعل بالأمير فيصل الذي وعدناه بالحكم؟

قلت للمندوب السامي: لو انتصرت فكرة جون فيلبي يتغير مصير الإمبراطورية.

هل تعتقدين أن العرب يمكن أن يتحولوا من ضحايا إلى جلادين؟

لا خيار لنا سوى تأليف حكومة عراقية، سلطتها بيد المستشارين الإنجليز.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ضحك السير كوكس: أنت امرأة ناعمة لكن عزيمتك مثل عزيمة الفيلة.
آمنت أن لا فائدة من أن نتصارع فوق جثة العراق مثل نسور وغربان. لقد قاتل العراقيون الإمبراطورية العثمانية بالأمس والآن يفكرون بمحاربتنا"[٤٣].

وتقر مس بيل بأن القيادة الإنجليزية في العراق تسير على خطى الدولة العثمانية وتستخدم أدواتها والتي سبق أن أعلنت تحرير العراقيين من سطوتهم، فتقول مس بيل:

" ما يحز في نفسي أننا ارتدينا قناع العثمانيين الذين حاربناهم وبدأنا نحكم بأدواتهم القديمة، وفي نفوسنا نتأرجح بين الانتصار والهزيمة، بين الفوضى والنظام، عاجزين عن رد السؤال: من هدم أركان الإمبراطورية العثمانية نحن أم انهيارهم الداخلي؟"

❖ الاستشراق

يقول إدوارد سعيد: "ومنذ بداية القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت لفرنسا وبريطانيا السيطرة على الشرق والاستشراق، أما منذ انتهاء هذه الحرب فأمريكا هي التي تسيطر على الشرق وتتبع في ذلك المنهج الذي كانت تتبعه فرنسا وبريطانيا ذات يوم"[٤٤].

والاستشراق ما هو إلا أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه، وللاستشراق دور كبير في من أجل تبييض وجه الاستعمار وتحقيق أهدافه من خلال السيطرة على العقول للانصهار في الثقافة الغربية كما أن المستشرقين عملوا على إظهار المقومات التي يمتاز بها الشرق ما يمتلك من ثروات وكما قال أحد المستشرقين عن العراق "العراق ثريدة العالم"، فالعراق بلد يملك من الثروات ما يجعله أغنى بلدان العالم.

ومما جاء في حديث مس بيل للسير كوكس حين قالت:

قالت مس بيل للسير بيرسي كوكس
يا صاحب السعادة، ما أمس حاجتنا للمعلومات لأن هذا البلد ثريدة العالم...
ضحك المندوب السامي وهز رأسه.
ثريدة العالم
أجل. هكذا وصفهم أحد المستشرقين.
كيف لنا أن نحكم هذا الشعب إذا؟
لا طريقة إلا بمعرفة أسرار قبائله وشيوخه.
ضحك، قائلا: وهل هناك من يعرف أسرارهم مثلك؟
أشكر ثقتك يا صاحب السعادة
ثم أخبرته أننا ينبغي أن نحترس ولا نخطئ بحق هذا الشعب ...

❖ كبت الحريات بالرغم من تشدق الغرب بالديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان

وهذا يتجلى بوضوح في رواية خاتون بغداد من موقف الشاعر جميل صدقي الزهاوي عندما غازل المس بيل ذات العيون الزرقاء لكنه تراجع عن مغازلته لها، بل وأنكر ذلك خوفا من عقاب الإنجليز له وبطشهم وسجنه في سجن القشلة وتحت عنوان "التغزل بذات العيون الزرق" يقول المؤلف:

"هكذا غازلها الشاعر جميل صدقي الزهاوي لكنه ارتعد وانزوى في غرفته عندما وصلت قصيدته إلى سمعها بل وأنكر تأليفها على الفور، وأقسم بأغلظ الأيمان أنه لا يقصد المس بيل، فيما تعالت دردشات الأفندية في المقاهي: هذا شاعر جبان يخاف من سلطة امرأة، تبا له ولشعره!

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

يا جماعة يعني الشاعر الشجاع يجب أن ينام في سجن القشلة، هو حر، يتبنّى قصيدته أو ينكرها، الزمن تغير الآن والإنجليز لم يعودوا على بعد آلاف الكيلومترات منا بل هم في عقر دارنا يحكمون مفاصل الدولة التي تسعون لتأسيسها. لا تنسوا يا جماعة، إنه يغازل الخاتون، ومن هي برأيكم الخاتون؟ إنها السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي بيرسي كوكس، حاكم بغداد بأمر التاج البريطاني، ومن يفتح فمه ويتفوّه ضد الخاتون مصيره معروف. يا رجل، يقولون إنها ستصبح الملكة غير المتوجة على العراق"[٤٥].

كان ذلك موقف الزهاوي وفي المقابل نجد الشاعر محمد مهدي الجواهري يهجوها ولا يخش بطش الاحتلال البريطاني ولا يأبه لعقابهم له.

كما يتضح ذلك أيضا عندما أراد طالب النقيب أن يكون أميرا للعراق وأقنعته مس بيل أن العراقيين لا يعترفون بالملوك والأمراء إلا إذا كانوا ينحدرون من أسلاف النبي، وأن العراق لا يحكم بسهولة لأنه يتكون من طوائف وأجناس وأعراق، وأقنعته مس بيل بذلك، ثم عاد وطلب ذلك مرة أخرى وأصر أنه لا حق ولا مطلب في العراق

للأمير فيصل. فما كان من السير كوكس إلا أن نفاه.

"ثم عاد السير بيرسي كوكس وكتب إلى تشرشل، قائلا: هل تخولني السلطة أن أنفي النقيب المعتقل في الفاو إلى سيلان؟ أجابه تشرشل: يستحق ذلك لأن خطابه كان تحريضيا ومثيرا للمشاكل ولا بد من معاقبته في السجن.

هكذا رأيت طالب النقيب يمضي فترة طويلة في السجن، ثم أفرج عنه، وقضى بقية عمره يطوف في أوروبا لا يعرف ماذا يفعل[٤٦]".

الخاتمة

- كان الاستعمار الغربي الحديث أسوأ ما مرت به البشرية على الإطلاق منذ بداية القرن الثامن عشر ولا زالت الأمة العربية تعاني ويلاته حتى اليوم كما في فلسطين. وما زالت القوى الغربية والولايات المتحدة تسعى إلى السيطرة على الشرق عامة وإحكام السيطرة على العالم الإسلامي خاصة.
- وتعد نظرية النيوكولونيالية من أهم الدراسات النقدية المعاصرة التي شغلت العديد من الباحثين والمفكرين وهي تهتم بدراسة التأثير الثقافي والاجتماعي للاستعمار الأوروبي والطرق التي تستخدم لمقاومة الاستعمار.
- تهتم النظرية النيوكولونيالية بتفكيك الظاهرة الاستعمارية ومناهضة المركزية الغربية ورفض نظرياتها وتصوراتها الاستعلائية التي تدعو إلى تدني الأعراق والأجناس غير الأوروبية.
- نشأ الخطاب الكولونيالي عبر السرد الروائي والرحلي وأبحاث المستشرقين من أجل تبييض وجه الاستعمار وتحقيق السيطرة على العقول للانصهار في الثقافة الغربية والتخلي عن ثقفة الذات وطمس الهوية وفي المقابل نشأت الرواية ما بعد الكولونيالية التي كان لها دورا كبيرا على عاتقها حيث مقاومة سحر ذلك الخطاب الكولونيالي وتقويضه.
- من الممارسات التي رفضها مفكرو النيوكولونيالية العنصرية والنظرة الدونية للآخر وطمس الهوية والثقافة واللغة وكبت الحريات.
- اهتم النقاد العراقيون برصد الممارسات النيوكولونيالية في الخطاب الروائي العراقي وخاصة بعد الاحتلال الأمريكي لها عام ٢٠٠٣م، وكان للدكتور "سمير الخليل" بصمة بارزة في ذلك حيث سعى إلى تطبيق مفاهيم "النقد ما بعد الكولونيالية" أو "النيوكولونيالية" التي تسعى إلى فحص النصوص

ISSN–2536–0027

الثقافية والأدبية التي وقعت تحت وطأة الاحتلال البريطاني قديما والاحتلال الأمريكي حديثا والتي كان لها آثارا على المستوى الفني والثقافي والاجتماعي.

المصادر

١. شاكر نوري: خاتون بغداد، دار كتاب للنشر، العراق، ٢٠١٧

المراجع

١. ابن منظور: لسان العرب، مج٢، دار المعارف، القاهرة
٢. أحمد حجاج: العولمة والوحدة الإفريقية، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٣، العدد١٥٤
٣. أنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٠٧
٤. بشير إبرير: في تحليل الخطاب (مداخل نظرية وممارسات تطبيقية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ٢٠٢١
٥. بوخالفة إبراهيم: الكولونيالية وما بعدها، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٣، العدد٢، ٢٠٢١/٩/١٥
٦. بيل أشكروفت وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية -المفاهيم الرئيسية-: ترجمة: أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ٢٠١٠
٧. جميل حمداوي: نظرية ما بعد الاستعمار (الأطروحة في خدمة الاستغراب)، مجلة الاستغراب، السنة الرابعة، ٢٠١٨، العدد١٢
٨. خيرة مطاي: بين فانون وبن نبي (ما قبل الاستعمار وما بعده)، فسحة، ٢٠٢٢/٦/١٣
٩. دوغلاس روبنسون: الترجمة والإمبراطورية (الدراسات ما بعد الكولونيالية، دراسات الترجمة)، ترجمة: ثائر ديب، مجلة نزوى، العدد٤٥، ٢٠٠٩/٧/٢٠
١٠. سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩
١١. سمير الخليل: روايات ما بعد الكولونيالية (اليانكية)- التحولات الفنية والفكرية والثقافية، دار ومكتبة أهوار للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠٢٣
١٢. الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، م٢، حرف الخاء
١٣. طه الراوي: بغداد مدينة السلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)
١٤. عبد الله إبرهيم: المحاورات السردية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١
١٥. فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتعددين، (د.ط)، تونس، ١٩٨٦
١٦. فرانر فانون: معذبو الأرض، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧
١٧. مجدي ممدوح: ما بعد الكولونيالية (منظور إدوارد سعيد)، مجلة الفلق الإلكترونية، ٩/ ١١/ ٢٠١٥ م
١٨. محمد الباشا: الكافي (معجم عربي حديث)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢
١٩. محمد بن علي التهانوي: موسوعة كتاب اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، ج١، ط١، ١٩٩٦
٢٠. مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مجلد٢، ط١، ٢٠٠٨

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

٢١. ناصر كرم رمضان: اميلكار كابرال (القيادة الثورية والمقاومة المسلحة)، قراءات إفريقية، ١١/٢٢/ ٢٠٢٢
٢٢. نجلاء أبو عجاج: الفضاء الثالث والإرث الاستعماري، الحوار المتمدن، ٢٠٢١/٣/١٠
٢٣. نوافل يونس الحمداني: الاستشراق وخطاب ما بعد الكولونيالية، المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية، جامعة واسط، ١٠نيسان ٢٠١٣
٢٤. ياسين معيزو: هل هناك خطاب عربي ما بعد الكولو نيالي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٢٣/٧/١٤
٢٥. يحيى بن الوليد: الوعي المحلق (إدوارد سعيد وحال العرب)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠

---

[١] نجلاء أبو عجاج: الفضاء الثالث والإرث الاستعماري، الحوار المتمدن، ٢٠٢١/٣/١٠
[٢] بيل أشكروفت وآخرون: الدراسات ما بعد الكولونيالية -المفاهيم الرئيسية-: ترجمة: أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٠، ص٢٥٤
[٣] بوخالفة إبراهيم: الكولونيالية وما بعدها، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٣، العدد٢، ٢٠٢١/٩/١٥، ص٦٨
[٤] بيل أشكروفت، جاريت جريفيث، وهيلين تيفين: دراسات ما بعد الكولونيالية/ المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الريبي وأيمن حلمي، وعاطف عثمان، تقديم: كرمة سامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ٢٠١٠، ص١٠٥
[٥] دوغلاس روبنسون: الترجمة والإمبراطورية (الدراسات ما بعد الكولونيالية، دراسات الترجمة)، ترجمة: ثائر ديب، مجلة نزوى، العدد٤٥، ٢٠٠٩/٧/٢٠
[٦] دوغلاس روبنسون: الترجمة والإمبراطورية (الدراسات ما بعد الكولونيالية، دراسات الترجمة)، مرجع سابق
[٧] فرانز فانون: معذبو الأرض، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٦
[٨] فرانز فانون: معذبو الأرض، مرجع سابق، ص٥٢
[٩] أحمد حجاج: العولمة والوحدة الإفريقية، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٣، العدد١٥٤، ص٤٧-٥٠
[١٠] خيرة مطاي: بين فانون وبن نبي (ما قبل الاستعمار وما بعده)، فسحة، ٢٠٢٢/٦/١٣
[١١] ناصر كرم رمضان: اميلكار كابرال (القيادة الثورية والمقاومة المسلحة)، قراءات إفريقية، ١١/٢٢/ ٢٠٢٢
[١٢] مجدي ممدوح: ما بعد الكولونيالية (منظور إدوارد سعيد)، مجلة الفلق الإلكترونية، ٩/ ١١/ ٢٠١٥م
[١٣] ياسين معيزو: هل هناك خطاب عربي ما بعد الكولونيالي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٢٣/٧/١٤
[١٤] مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مجلد٢، ط١، ٢٠٠٨، ص١١٩٢
[١٥] عبد الله إبرهيم: المحاورات السردية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ص٢١٠،٢٠٩
[١٦] جميل حمداوي: نظرية ما بعد الاستعمار (الأطروحة في خدمة الاستغراب)، مجلة الاستغراب، السنة الرابعة، ٢٠١٨، العدد١٢
[١٧] يحيى بن الوليد: الوعي المحلق (إدوارد سعيد وحال العرب)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠، ص٨٣- ١٢١
[١٨] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ص٢٦١
[١٩] الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، م٢، حرف الخاء، ص٧٥،٧٦
[٢٠] القرآن الكريم: سورة الذاريات، الآية٣١، سورة الحجر، الآية٥٧
[٢١] محمد الباشا: الكافي (معجم عربي حديث)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ص٤١٤
[٢٢] محمد بن علي التهانوي: موسوعة كتاب اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، ج١، ط١، ١٩٩٦، ص٧٤٩
[٢٣] بشير إبرير: في تحليل الخطاب (مداخل نظرية وممارسات تطبيقية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ٢٠٢١، ص٧
[٢٤] نوافل يونس الحمداني: الاستشراق وخطاب ما بعد الكولونيالية، المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية، جامعة واسط، ١٠نيسان ٢٠١٣، ص٣٩٦
[٢٥] سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩، ص١٥٩
[٢٦] أنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٠٧، ص٨١
[٢٧] خيرة مطاي: بين فانون وبن نبي ماقبل الاستعمار وما بعده، فسحة، ٢٠٢٢/٦/١٣

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي الاربعون – كانون الثاني ٢٠٢٥– رجب ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

[٢٨] سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩، ص١٥٥
[٢٩] نوافل يونس الحمداني: الاستشراق وخطاب ما بعد الكولونيالية، المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية، جامعة واسط، ١٠نيسان ٢٠١٣، ص٣٩٤
[٣٠] سمير الخليل: روايات ما بعد الكولونيالية (اليانكية)- التحولات الفنية والفكرية والثقافية، دار ومكتبة أهوار للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠٢٣، ص٦
[٣١] ابن منظور: لسان العرب، باب روى، مج٢، دار المعارف، القاهرة، ص١٧٨٦
[٣٢] فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتعددين، (د.ط)، تونس، ١٩٨٦، ص١٧٦
[٣٣] طه الراوي: بغداد مدينة السلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص٥٧
[٣٤] طه الراوي: بغداد مدينة السلام، مرجع سابق، ص٥٨
[٣٥] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص١٣
[٣٦] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص١١
[٣٧] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص٤٠
[٣٨] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص٥
[٣٩] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص١٩
[٤٠] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص١٢
[٤١] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص٢١
[٤٢] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص٢٢
[٤٣] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص٨٥
[٤٤] إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص٤٧
[٤٥] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص١٦
[٤٦] شاكر نوري: خاتون بغداد، ص١٠٣

كامبريدج للبحوث العلمية
CAMBRIDGE SCINTIFIC JOURNAL